فحاصلُ ما يبقىٰ له سُدْسُ عُمْرِهِ   إذا صدقته النفسُ عن علم حَدْسِها

ورياضة نفسك لذلك تترتَّب علىٰ أحوال ثلاث ، وكلُّ حالٍ منها تتشعَّب ، وهي لتسهيل ما يليها سبب .

فالحال الأولىٰ : أن تصرف حبَّ الدنيا عن قلبك ؛ فإنها تلهيك عن آخرتك ، **ولا تجعلْ سعيَك لها** . . فتمنعَك حظَّك منها ، **وتوقَّ الركونَ إليها** ، ولا تكنْ آمناً لها ؛ فقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **مَن أُشرِبَ قلبُه حبَّ الدنيا وركن إليها** . . **ٱلْتاطَ منها بشغلٍ لا يبلغ عَناه ، وأملٍ لا يبلغ منتهاه ، وحرصٍ لا يُدرك مداه** »[1] .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (**الدنيا لإبليس مزرعةٌ** ، وأهلُها له حُرّاثٌ)[2] .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**مثَلُ الدنيا مثَلُ الحيّة** ؛ لَيِّنٌ مسُّها ، قاتلٌ سمُّها ، **فأعرِضْ عمَّا أعجبك منها** ؛ لقلَّة ما يصحبك منها ، **وضعْ عنك هُمومَها** ؛ لما أيقنت من فراقها ، وكن أحذرَ ما **تكون لها آنسَ ما تكون بها** ؛ فإنَّ صاحبها كلَّما اطمأنَّ منها إلىٰ سرور . . أشخصه عنها مكروه ، وإلىٰ إيناسٍ . . أزاله عنها إيحاشٌ)[3] .

وقال بعض البلغاء : (**إنَّ الدنيا لا تصفو لشارب** ، ولا تفي لصاحب ، **ولا تخلو من فتنة**، ولا تُخلي من محنة، **فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك** ، واستبدل

---

(١) رواه الشهاب في « مسنده » (٥٤١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/ ١٢٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، **ركن إليها** : تفسير للإشراب ومدرج في الحديث ، **والتاط** : لصق بقلبه ؛ ومنه نكاح الجاهلية يقال : **التاط به الولد** ؛ أي : التصق به وليس له .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (٢٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤١٦) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٤٢) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٦٤) ممّا كتبه إلىٰ سلمان رضي الله عنه .

بها قبل أن تستبدل بك ؛ **فإن نعيمها يتنقَّل** ، وأحوالها تتبدَّل ، **ولذاتِها تفنىٰ** ، وتبعاتِها تبقىٰ) .

وقال بعض الحكماء : (**انظر إلى الدنيا نظرَ الزاهدِ المفارِقِ** ، ولا تتأمَّلها **تأمُّلَ** العاشق الوامق)[1] .

وقال بعض الشعراء[2] : [من الطويل]

ألا إنَّما الدنيا كأحلامِ نائمٍ ... وما خيرُ عيشٍ لا يكون بدائمِ
تأمَّلْ إذا ما نِلْتَ بالأمسِ لذّةً ... فأفنيتَها هل أنتَ إلا كحالمِ
فمِن غافلٍ عنه وليس بغافلٍ ... ومِن نائمٍ عنه وليس بنائمِ

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **مِن هَوانِ الدنيا على الله تعالىٰ** : ألا يُعصَىٰ إلا فيها ، ولا يُنالَ ما عنده إلا بتركها »[3] .

وروىٰ سفيان : أن الخضرَ قال لموسىٰ عليهما السلام : (**يا موسى ؛ اعزفْ عن الدنيا** ، **وانبذها وراءك** ؛ فإنَّها ليست لك بدار ، ولا لك فيها محلُّ قرار ، **وإنَّما جُعِلت الدنيا للعباد ؛ ليتزوَّدوا منها للمَعاد**)[4] .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (**الدنيا قنطرة** ، **فاعبُروها ولا تعمُروها**)[5] .

وقال علي عليه السلام يصف الدنيا : (**أولُها** عناء ، **وآخرُها** فناء ، **حلالُها** حساب ، **وحرامُها** عقاب ، **مَن صحَّ فيها** . . أمن ، **ومَن مرض فيها** . . ندم ، **ومَن استغنىٰ فيها** . . فُتن ، **ومَن افتقر فيها** . . حزن ، **مَن ساعاها** . . فاتته ، **ومَن قعد**

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ١٢٦) ممّا كتبه الحسن البصري إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، وأورده في « البصائر والذخائر » (٣/ ٢٤) ، والوامق : هو المحب المفرط .
(٢) البيتان الأولان لابن عبد ربه الأندلسي في « ديوانه » (ص ٢٢٩) .
(٣) أورده في « المحاسن والأضداد » (ص ١١٦) ، و« بهجة المجالس » (٢/ ٢٨١) من قول أبي الدرداء رضي الله عنه .
(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/ ٤١٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٠٨) .
(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥) ، و« تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤٣٠) .

عنها . . أتته ، ومَن نظر إليها . . أعمَتْه ، ومَن نظر بها . . بصَّرته)[1] .

وقال بعض البلغاء : (الدنيا تُقبل إقبالَ الطالب ، وتُدبر إدبارَ الهارب ، وتصل وصالَ المَلُول ، وتفارق فراقَ العَجُول ؛ فخيرُها يسير ، وعيشُها قصيرٌ ، وإقبالُها خديعة ، وإدبارُها فجيعة ، ولذاتها فانية ، وتبعاتها باقية ، فاغتنم غفوة الزمان ، وانتهز فرصة الإمكان ، وخذ من نفسك لنفسك ، وتزوَّد من يومك لغدك)[2] .

وقال وهب بن منبِّه : (مثلُ الدنيا والآخرة مثلُ ضَرَّتين ؛ إن أرضيتَ إحداهما . . أسخطتَ الأخرىٰ)[3] .

وقال عبد الحميد : (الدنيا منازلُ ؛ فراحلٌ ونازلٌ) .

وقال بعض الحكماء : (الدنيا إمَّا نِقمة نازلة ، وإمَّا نعمةٌ زائلة) .

وقيل في منثور الحكم : (منَ الدنيا على الدنيا دليلٌ)[4] .

وقال بعض الشعراء[5] : [من الطويل]

تسمَّعْ من الأيام إنْ كنتَ حازماً ... فإنَّكَ منها بينَ ناهٍ وآمرِ
إذا أبقتِ الدنيا على المرء دينَهُ ... فما فات من شيءٍ فليس بضائرِ
فلن تعدلَ الدنيا جناحَ بعوضةٍ ... ولا وزنَ رَفٍّ من جناحٍ لطائرِ
فما رضيَ الدنيا ثواباً لمؤمنٍ ... ولا رضيَ الدنيا جزاءً لكافرِ

روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدنيا يومان : يوم فرَح ، ويوم همّ ، وكلاهما زائلٌ عنك ، فدَعُوا ما يزولُ ، وأتعِبُوا أنفسَكم في العمل لما لا يزولُ » .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (١٨) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٣٩) .
(٢) أورده في « سراج الملوك » (١/ ٧١ـ ٧٢) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٨/ ٢٨) .
(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ٥١) .
(٤) أورده في « شرح نهج البلاغة » (١٦/ ٩١) .
(٥) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ١٤٨ـ ١٥٠) ، وعجز البيت الثالث فيه : (لدى الله أو مقدارَ زغبة طائر) ، وفي (ج) : (وزن تفٍّ) .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : (**لا تُنازعوا أهلَ الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم ؛ فلا دنياهم أصبتم ، ولا علىٰ دينكم أبقيتم**)[١] .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**لا تكن ممَّن يقول في الدنيا بقول الزاهدين** ، ويعمل فيها عملَ الراغبين ؛ **إن أُعطي منها** . . لم يشبع ، **وإن مُنع منها** . . لم يقنع ، **يعجز عن شكر ما أُوتي** ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، **ينهىٰ ولا ينتهي** ، ويأمر بما لا يأتي ، **يحبُّ الصالحين ولا يعمل بعملهم** ، **ويبغض الطالحين** وهو منهم)[٢] .

وقال الحسن البصري رحمه الله : (**الدنيا كلُّها غمٌّ** ؛ فما كان منها من سرورٍ . . فهو ربحٌ)[٣] .

وقال بعض العلماء : (**الدنيا كثيرة التغيير** ، سريعة التنكير ، **شديدة المكر** ، دائمة الغدر ، **فاقطع أسباب الهوىٰ عن قلبك** ، واجعل أبعد أملك بقيّةَ يومك ، **وكن كأنَّك ترىٰ ثواب عملك**) .

وقال بعض الحكماء : (**الدنيا** : إمَّا مصيبةٌ موجعة ، وإمَّا منيّةٌ مفجعة) .

وأُنشد : [من مجزوء الخفيف]

كلُّ دنيا فإنَّها ... يُعقِبُ الخيرَ شرُّها
هي أمٌّ تعُقُّ مِن ... نسلِها مَن يبرُّها
كلُّ نفسٍ فإنَّها ... تبتغي ما يضرُّها
والمنايا تسوقُها ... والأماني تغرُّها
وإذا استحْلَتِ الجَنىٰ ... أعقبَ الحلوَ مرُّها
يستوي في ضَريحهِ ... عبدُ أرضٍ وحرُّها

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/ ٦٢) .
(٢) أورد نحوه في « البيان والتبيين » (٢/ ١٠١) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٨/ ٣٥٦) .
(٣) أورده في « البصائر والذخائر » (٤/ ٦٢) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٣٩٦) ، و« عيون الأخبار » (٢/ ٣٣٠) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فإذا رضتَ نفسك من هٰذه الحال بما وصفتُ . . اعتضتَ منها **ثلاثَ خِلال** :

- **إحداهن** : أن تُكفىٰ إشفاقَ المحبِّ ، وحذرَ الوامق ؛ فليس لمشفق ثقة ، ولا لحاذر راحة .

- **والثانية** : أن تأمن الاغترار بملاهيها ، فتسلم من عادية دواهيها ؛ فإنَّ اللاهيَ بها مغرور ، والمغرور فيها مدهوٌّ[1] .

- **والثالثة** : أن تستريح من تعب السعي لها ، ووصَب الكدِّ فيها ؛ فإنَّ مَن أحبَّ شيئاً . . طلبه ، ومَن طلب شيئاً . . كدَّ له ، والمكدود فيها شقيٌّ إن ظفر ، ومحرومٌ إن خاب .

وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لكعب : « **يا كعبُ ؛ الناسُ غاديان : ففادٍ نفسَه فمُعتِقُها ، وموثِقٌ نفسَه فمُوبِقُها** »[2] .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (**تعملون للدنيا وأنتم تُرزَقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل !!**)[3] .

وقال بعض البلغاء : (**من نكَد الدنيا : ألا تبقىٰ علىٰ حالة ، ولا تخلو من استحالة ، تصلح جانباً بإفساد جانب ، وتسرُّ صاحباً بمَساءة صاحب ، فالركون إليها خطَر ، والثقة بها غرَر**)[4] .

وقال بعض الحكماء : (**الدنيا مرتجَعة الهبة ، والدهر حَسود ، لا يأتي علىٰ شيءٍ إلا غيَّره ، ولمَن عاش حاجةٌ لا تنقضي**)[5] .

ولما بلغ مَزْدَك من الدنيا أفضلَ ما سمَت إليه نفسه . . نبذها[6] ،

---

(١) **الدواهي** : جمع (داهية) وهي النائبة والنازلة العظيمة ، ومدهو : مصاب بداهية عظيمة .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٤٥١٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٧٨) بنحوه .

(٣) رواه أبو داوود في « الزهد » (١) ، والدارمي في « مسنده » (٣٨٠) .

(٤) أورده في « الكشكول » (٢/ ١٨٩) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٨/ ٢٩) دون نسبة .

(٥) روى الجملة الأولىٰ منه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٤٤٨) عن عامر بن عبد قيس .

(٦) **مَزْدك** : هو مؤسس الزندقة الإباحية ، ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان في بلاد فارس ، وكثر أتباعه ، =

وقال : (هٰذا سرورٌ لولا أنه غرور ، ونعيمٌ لولا أنه عديم ، ومُلكٌ لولا أنه هُلك ، وغَناءٌ لولا أنه فَناء ، وجسيمٌ لولا أنه ذميم ، ومحمودٌ لولا أنه مفقود ، وغنىً لولا أنه منىً ، وارتفاعٌ لولا أنه اتّضاع ، وعلاءٌ لولا أنه بلاء ، وحَسَنٌ لولا أنه حزَن ، وهو يومٌ لو وُثِق له بغدٍ)[1] .

وقال بعض الحكماء : (قد ملك الدنيا غيرُ واحد ؛ من راغبٍ وزاهد ، فلا الراغبَ فيها استبقَتْ ، ولا الزاهدَ فيها كفَّتْ) .

وقال أبو العتاهية[2] : [من المتقارب]

هـي الـدارُ دارُ الأذىٰ والقـذىٰ ودارُ الفَنـاءِ ودارُ الغِيَـرْ
فلـو نِلْتَهـا بحَـذافيـرِهـا لمـتَّ ولـم تقـضِ منها الـوطَـرْ
أيـا مَـن يـؤمِّـلُ طُـولَ الحياةِ وطُـولُ الحيـاةِ عليـه ضـرَرْ
إذا مـا كبـرْتَ وبـانَ الشبـابُ فـلا خيـرَ فـي العيش بعدَ الكِبَـرْ

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهمَّ ؛ إني أعوذُ بكَ من علمٍ لا ينفعُ ، ونفسٍ لا تشبعُ ، وقلبٍ لا يخشعُ ، وعينٍ لا تدمعُ ، هل يتوقَّعُ أحدُكم إلا غنىً مُطغياً ، أو فقراً مُنسياً ، أو مرضاً مُفسداً ، أو هرَماً مُفنِداً ، أو الدجّالَ فهو شرُّ غائب يُنتظَر ، أو الساعةَ والساعةُ أدهىٰ وأمرُّ ؟! »[3] .

وحكي : أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (أنْ هَبْ لي من قلبك الخشوعَ ، ومن بدنك الخضوعَ ، ومن عينك الدموعَ ، وادعُني فإنِّي قريبٌ)[4] .

= ويسمون المزدكية ، دعا إلىٰ إباحة الحُرَم كلها ، وألا يمنع أحدٌ أخاه ما يريده ، فلما تسلم أنوشروان الحكم . . قتله ونكل بأتباعه . ولزيادة الاطلاع انظر « منهاج اليقين » (ص١٩٠ـ١٩١) .

(١) أورده في « سراج الملوك » (١/ ٣٠) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٦١ـ١٦٢) .

(٣) رواه أبو داوود (١٥٤٨) ، والترمذي (٢٣٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو مركّب من حديثين .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (٢/ ٢٩٨) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (١٧١) ، و« بهجة المجالس » (٢/ ٢٧١) .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : (أوحى الله تعالىٰ إلى الدنيا : مَن خدمني . . فاخدميه ، ومَن خدمكِ . . فاستخدِميه)[1] .

وقال بعض البلغاء : (زد من طول أملك في قصور عملك ؛ فإنَّ الدنيا ظلُّ الغَمام ، وحُلم النِّيام[2] ؛ فمَن عرفها ثم طلبها . . فقد أخطأ الطريق ، وحُرِم التوفيق) .

وقال بعض الحكماء : (لا يؤمنْك إقبالُ الدنيا عليك من إدبارها عنك ، ولا دولةٌ لك من إدالتها منك)[3] .

وقال آخر : (ما مضىٰ من الدنيا كما لم يكن ، وما بقي منها كما قد مضىٰ)[4] .

وقيل لزاهد : (قد خلعتَ الدنيا ؛ فكيف سخَتْ نفسُك عنها ؟! فقال : أيقنتُ أني أُخْرَجُ منها كارهاً ، فرأيتُ أن أدعَها طائعاً)[5] .

وقيل لحُرْقةَ بنت النعمان : (ما لكِ تبكين ؟! فقالت : رأيت لأهلي غَضارةً ، ولن تمتلىءَ دارٌ فرَحاً إلا امتلأت ترَحاً)[6] .

وقال ابن السمّاك : (مَن جرَّعته الدنيا حلاوتَها بميله إليها . . جرَّعته الآخرةُ مرارتَها لتجافيه عنها)[7] .

وقال صاحب « كليلة ودمنة » : (طالب الدنيا كشارب ماء البحر ؛ كلَّما ازداد شرباً . . ازداد عطشاً)[8] .

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد » (١٤) ، وأورده في « البيان والتبيين » (٣/ ١٦٦) ، و« المستطرف » (٣/ ٣٦٤) .
(٢) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و« الإعجاز والإيجاز » (ص ٤٦) مفرَّقاً .
(٣) أورده المرزوقي في « شرح ديوان الحماسة » (٣/ ١٢٠٠) .
(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٦/ ٢٩٠) في خطبة لزيد بن علي رحمهما الله .
(٥) أورده في « البصائر والذخائر » (١/ ٢٠٢) ، و« ربيع الأبرار » (١/ ٩٣) .
(٦) أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ١٤٥) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/ ١٨٣) ، و**الغضارة** : النعمة والسعة في العيش .
(٧) رواه البيهقي في « الزهد » (٢٦١) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٢٧٨) .
(٨) كليلة ودمنة (ص ٩٢) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٣٤٢) من كلام السيد المسيح عليه السلام .

وكان عمر بن عبد العزيز يتمثَّل بهٰذه الأبيات كثيراً[١] : [من الطويل]

نهـارُكَ يـا مغـرورُ سهـوٌ وغفلـةٌ ... وليلُـكَ نـومٌ والأسـىٰ لـكَ لازمُ
تُسَرُّ بمـا يفنـىٰ وتفـرحُ بـالمُنـىٰ ... كما سُرَّ باللذّاتِ في النوم حالمُ
وتُشغَـلُ فيمـا سـوفَ تكـرهُ غِبَّـهُ ... كذلكَ في الدنيا تعيشُ البهائمُ

وسمع رجل رجلاً يقول لصاحبه : (**لا أراك اللهُ مكروهاً !!** فقال : **كأنَّك دعوت علىٰ صاحبك بالموت** ؛ إن صاحبك ما صاحب الدنيا . . فلا بدَّ أن يرىٰ مكروهاً)[٢] .

وقال أبو العتاهية[٣] : [من مجزوء الكامل]

إنَّ الـــزمـــانَ وإنْ ألا ... نَ لأهلِـــهِ لَمُخـــاشِـــنُ
بخُطـــوبـــه المتحـــرِّكـــا ... تِ كـــأنَّهـــنَّ سَـــواكِـــنُ

ثم الحال الثانية من أحوال رياضتك لها : أن تصدق نفسك فيما منحتك من رغائبها ، وأنالتك من غرائبها ، **فتعلم أن العطية فيها مرتجَعة** ، والمنحة فيها مستَرَدَّة ، **بعد أن يبقىٰ عليك** ما احتقبتَ من أوزارِ وصولِها إليك ، وحسَراتِ **خروجِها عنك** ؛ فقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا تزولُ قدَما ابنِ آدمَ** من بين يدي الله تعالىٰ **حتىٰ يُسألَ عن ثلاث : شبابِه فيم أبلاه ؟ وعُمرِه فيم أفناه ؟ ومالِه** من أين اكتسبه ، وفيمَ أنفقه ؟ »[٤] .

وروي عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال : (**في المال ثلاثُ خصالٍ** ، قالوا : وما هنَّ يا رُوحَ الله ؟ قال : **يكسبُه من غير حِلِّه** ، قالوا : فإنْ كسبه من

(١) الأبيات لعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، انظر « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي (ص ٢٧٨) .
(٢) أورده في « المستطرف » (٢/ ٣٥٠) ، و« ربيع الأبرار » (٤/ ٢٩٢) .
(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٤٦ ـ دار صادر) .
(٤) كذا أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ١٢٥) من قول الحسن ، والمشهور كما في « سنن الترمذي » (٢٤١٧) : أنه يُسأل عن أربع بزيادة (علمه) .

حِلّه ؟ قال : **يضعه في غير حقّه** ، قالوا : فإنْ وضعه في حقّه ؟ قال : **يشغله عن عبادة ربّه**)[1] .

ودخل أبو حازم علىٰ بشر بن مروان ، فقال له : (يا أبا حازم ؛ **ما المَخرجُ ممَّا نحن فيه** ؟ قال : تنظرُ ما عندك ، **فلا تضعْه إلا في حقّه** ، وما ليس عندك ، **فلا تأخذْه إلا بحقِّه** .

قال : ومَن يطيقُ هـٰذا يا أبا حازم ؟ قال : **فمِن أجل ذلك مُلِئت جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين**)[2] .

وعيَّرتِ اليهودُ عيسى ابنَ مريم عليه الصلاة والسلام بالفقر ، فقال : (**مِن الغنىٰ دُهِيتم**)[3] .

ودخل قوم منزل عابد ، فلم يجدوا شيئاً يقعدون عليه ، فقال لهم : (**لو كانت الدنيا دار مُقام . . لاتَّخذنا لها أثاثاً**)[4] .

وقيل لبعض الزهاد : (**ألا توصي** ؟ قال : **بماذا أوصي ؟! واللهِ ؛ ما لنا شيءٌ ، وما لنا عند أحدٍ شيءٌ ، ولا لأحد عندنا شيءٌ**)[5] ، انظر إلىٰ هـٰذه الراحة كيف تعجَّلها ، وإلى السلامةِ كيف صار إليها !! ولذلك قيل : (**الفقرُ ملكٌ ليس فيه محاسبةٌ**)[6] .

وقيل لعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (**ألا تتزوَّجُ** ؟ فقال : **إنَّما نحبُّ التكثُّرَ في دار البقاء**)[7] .

---

(١) أورده في « عيون الأخبار » (١/ ٢٤٦) ، و« البيان والتبيين » (٣/ ١٩١) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٨١٠) ، و« تاريخ دمشق » (٢٢/ ٢٩) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (١/ ٢٤٧) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٨٠) ، ودُهيتم : أُصبتم بالداهية وهي المصيبة العظيمة .

(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١/ ٢٢٧) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٢١٨) ضمن خبر طويل .

(٦) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٣٠٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٨/ ٨٤) .

(٧) أورده في « البصائر والذخائر » (٩/ ٢٢٤) بنحوه .

وقيل له : (لو دعوتَ الله تعالىٰ أن يرزقَك حماراً ؟ فقال : **أنا أكرَمُ على الله تعالىٰ من أن يجعلَني خادمَ حمار**)[1] .

وقيل لأبي حازم : (**ما مالُكَ** ؟ فقال : **شيئان** ؛ الرضا عن الله تعالىٰ ، والغنىٰ عن الناس)[2] .

وقيل له : (**إنك لمسكين** ، فقال : **كيف أكون مسكيناً** ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثَّرىٰ ؟!)[3] .

وقال بعض الحكماء : (**ربَّ مغبوطٍ بمَسرّةٍ هي داؤه** ، **ومرحومٍ من سقَمٍ هو شفاؤه**)[4] .

وقال بعض الأدباء : (الناس أشتات ، ولكلٍّ جمعٍ شَتات)[5] .

وقال بعض البلغاء : (**الزهد** بصحَّة اليقين ، **وصحَّة اليقين** بنور الدِّين ؛ **فمَن صحَّ يقينُه** . . زهد في الثراء ، **ومَن قوي دينُه** . . أيقن بالجزاء ؛ **فلا تغرَّنك صحّةُ نفسك** ، وسلامةُ أمسك ، **فمدّة العمر قليلة** ، وصحّة النفس مستحيلة)[6] .

وقال بعض الشعراء[7] : [من المديد]

رُبَّ مغـــروسٍ يُعــاشُ بـــهِ ... عـــدِمَتـــهُ كـــفُّ مُغتـــرِســـهْ
وكـــذاكَ الـــدهـــرُ مـــأتمُـــهُ ... أقـــربُ الأشيـــاءِ مـــن عَـــرَسِـــهْ

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٠٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٧٦) .
(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٢٤٠) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٦٣) .
(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٧٤٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٢٩) .
(٤) أورده في « المحاسن والمساوىء » (ص ٢٧٣) ، و« الفرج بعد الشدة » (١/١٥٨) .
(٥) **أشتات** : فِرق ، **وشتات** : تفرق بعد اجتماع .
(٦) أورد بعضه في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و« المستطرف » (١/٨٦) .
(٧) البيتان لسليمان الأعمىٰ كما في « معجم الأدباء » (٤/٣١٧) ، و« عيون الأخبار » (٣/٦١) ، و« البيان والتبيين » (٣/٢٠٢) ، **والمأتم** : كل مجمع في حزنٍ أو فرح ، أو هو خاص بالنساء ، وغلب على اجتماع الناس في حزن ، **وعَرَسه** : شدة السرور ، **والمعنىٰ** : أن مجمع حزن الدهر أقرب من مجمع سروره وفرحه .

فإذا رُضتَ نفسك من هٰذه الحال بما وصفتُ . . اعتضتَ منها ثلاث خلال :

ـ إحداهنَّ : نصحُ نفسك وقد استسلمتْ إليك ، والنظرُ لها وقد اعتمدَتْ عليك ، فانظر لها ، ولا تنحرف عنها ؛ فإن غاشَّ نفسه مغبون ، والمنحرف عنها مأفون[1] .

ـ والثانية : الزهد فيما ليس لك ؛ لتُكفىٰ تكلُّفَ طلبه ، وتسلم من تبعات كسبه .

ـ والثالثة : انتهاز الفرصة في مالك ؛ أن تضعه في حقه ، وأن تؤتيه لمستحقه ؛ ليكون لك ذخراً ، ولا يكون عليك وزراً ؛ فقد روي أن رجلاً قال : يا رسولَ الله ؛ إني أكرهُ الموتَ ، قال : « ألكَ مالٌ ؟ » قال : نعم ، قال : « قدِّمْ مالكَ ؛ فإنَّ قلبَ كلِّ امرىءٍ عندَ مالِهِ »[2] .

وقالت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : ذبحنا شاةً فتصدَّقنا بها ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ ما بقيَ إلا كَتِفُها ، فقال : « كلُّها بقيَ إلا كَتِفَها »[3] .

وحكي : أنَّ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود باع داراً بثمانين ألف درهم ، فقيل له : (لو اتخذتَ لولدك من هٰذا المال ذخراً ؟ فقال : أنا أجعلُ هٰذا المالَ ذخراً لي عند الله تعالىٰ ، وأجعلُ اللهَ تعالىٰ ذخراً لولدي ، وتصدَّقَ بها)[4] .

وعُوتب سهل بن عبد الله المروزيُّ في كثرة الصدقة ، فقال : (لو أنَّ رجلاً أراد أن ينتقل من دار إلىٰ دار . . هل كان يُبقي في الأُولىٰ شيئاً ؟)[5] .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : (ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم

---

(١) المأفون : هو ناقص العقل ، وهو الذي يعجبك ولا خير فيه .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٣٤) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤٠/ ٢٨٦) ، وأبو عبيد في « الأموال » (٨٨٦) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٨٦) ، وابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/ ٣٣٤) .

(٥) أورده في « البصائر والذخائر » (٨/ ١٣٠) عن سهيل بن علي .

أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ؛ فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب)[1] .

وقيل لعبد الله بن عمر : ترك زيدُ بن حارثة مئة ألف درهم ، قال : (لٰكنَّها لا تتركُه)[2] .

وقال الحسن البصريّ : (ما أنعمَ اللهُ تعالىٰ علىٰ عبدٍ نعمةً إلا وعليه فيها تبِعة إلا سليمانَ عليه السلام ؛ فإنَّ الله تعالىٰ قال : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾)[3] .

وقال أبو حازم : (إن عُوفينا من شرِّ ما أُعطينا .. لم يضرَّنا فقدُ ما زُوي عنّا)[4] .

وقال بعض السلف : (قدِّموا بعضاً ليكونَ لكم قرضاً ، ولا تخلِّفوا كُلاًّ فيكونَ عليكم كَلاًّ)[5] .

وقال إبراهيم : (نِعْمَ القومُ السؤَّالُ ؛ يدقُّون أبوابكم يقولون : توجِّهون إلى الآخرة شيئاً ؟)[6] .

وقال سعيد بن المسيب : (مرَّ بي صلةُ بن أَشْيمَ ، فما تمالكتُ أنْ نهضتُ إليه فقلت : يا أبا الصهباء ؛ ادعُ لي ، فقال : رغَّبك اللهُ فيما يبقىٰ ، وزهَّدك فيما يفنىٰ ، ووهب لك اليقينَ الذي لا تسكن النفوسُ إلا إليه ، ولا يُعوَّل في الدِّين إلا عليه)[7] .

---

(١) رواه الدارمي في « مسنده » (٦٧٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٣٤) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٩٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٩١) ، وفي النسخ ما عدا (أ) : (زيد بن خارجة) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢١١) من زيادات نعيم بن حماد .

(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥٧) ، و« تاريخ دمشق » (٢٢/ ٦٨) .

(٥) أورده في « الكشكول » (١/ ١٨٨) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأبو علي القالي في « الأمالي » (١/ ٢٥٤) من خطبة لبعض الأعراب .

(٦) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/ ٣٢) ، وإبراهيم : هو ابن أدهم رحمه الله .

(٧) أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ٢٨١) ، ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٢٤١) .

ولمّا ثقل عبد الملك بن مروان.. رأىٰ غَسَّالاً يلوي بيده ثوباً ، فقال : (وددتُ أنِّي كنت غسَّالاً ؛ لا أعيش إلا بما أكسبه يوماً فيوماً ، فبلغ ذلك أبا حازم ، فقال : الحمدُ لله الذي جعلهم يتمنَّون عند الموت ما نحن فيه ، ولا نتمنَّىٰ عنده ما هم فيه)[1] .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « يقولُ ابنُ آدمَ : مالي مالي ، ما لكَ من مالِكَ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو أعطيتَ فأمضيتَ »[2] .

وقال الشاعر[3] : [من الطويل]

وما المالُ والأهلونَ إلا وَديعةٌ ... ولا بدَّ يوماً أنْ تُردَّ الوَدائعُ

وقال خالد بن صفوان : (بتُّ ليلةً أتمنَّىٰ ، فكبستُ البحر الأخضر بالذهب الأحمر ؛ فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطِمْران)[4] .

وقال مورِّق العجلي : (يا بنَ آدمَ ؛ في كلِّ يومٍ تؤتىٰ رزقَك وأنت تحزنُ ، وينقص عمرُك وأنت لا تحزنُ ، تطلب ما يطغيك وعندَك ما يكفيك !!)[5] .

وقال أبو حازم : (إنَّما بيني وبين الملوك يومٌ واحدٌ ؛ أمَّا أمسِ.. فلا يجدون لذَّته ، وأنا وهم من غدٍ علىٰ وجَل ؛ وإنَّما هو اليومُ ، فما عسىٰ أن يكون ؟!)[6] .

وقال بعض السلف : (تعزَّ عن الشيء إذا مُنعتَه ؛ لقلَّة ما يصحبك إذا أُعطيتَه)[7] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٧٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ١٥٧) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨) ، والترمذي (٢٣٤٢) عن سيدنا عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه .
(٣) البيت للبيد في « ديوانه » (ص ١٧٠) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٣٤٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٨٢٩) ، وأورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٣٦٧) ، والطِّمران : ثوبان خلقان للارتداء والاتزار .
(٥) أورده في « سراج الملوك » (١/ ٩٤) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٥٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ١٢٩) من كلام شميط بن عجلان رحمه الله تعالىٰ .
(٦) أورده في « زهر الآداب » (١/ ١٦٩) ، و« محاضرات الأدباء » (٤/ ٤٨) ، والاستفهام للإنكار التقليلي أو التحقيري ، و(يكون) تامة ؛ أي : فما عسىٰ أن يكون يوم واحد ؟!
(٧) أورده في « البيان والتبيين » (٢/ ١٤٠) ، و« البصائر والذخائر » (٧/ ١٣١) .

وقال بعض الحكماء : (**مَن ترك نصيبه من الدنيا . . استوفىٰ حظَّه من الآخرة**) .

وقال آخر : (**تركُ التلبُّس بالدنيا قبل التشبُّث بها . . أهونُ من رفضها بعد ملابستها**) .

وقال آخر : (**ليكنْ طلبُك للدنيا اضطراراً ، وفكرتُك في الأمور اعتباراً ، وسعيُك لمعادك ابتداراً**)[1] .

وقال آخر : (**الزاهد** : مَن لا يطلب المفقود ؛ حتىٰ يفقد الموجود)[2] .

وقال آخر : (**مَن آمن بالآخرة . . لم يحرص على الدنيا ، ومَن أيقن بالمُجازاة . . لم يؤثر على الحسنىٰ**) .

وقال آخر : (**مَن حاسب نفسَه . . ربح ، ومَن غفل عنها . . خسر**)[3] .

وقال أبو العتاهية[4] : [من الوافر]

أرى الدنيا لمَن هي في يدَيهِ ... عذاباً كلَّما كثرَت لدَيهِ
تُهينُ المُكرِمينَ لها بصُغْرٍ ... وتُكرِمُ كلَّ مَن هانَت علَيهِ
إذا استغنَيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ ... وخذْ ما أنتَ مُحتاجٌ إليهِ

وحكى الأصمعيُّ قال : (**دخلتُ على الرشيد يوماً وهو ينظر في كتابٍ ودموعُه تسيل علىٰ خدِّه ، فلمّا بصُرَ بي . . قال : أرأيتَ ما كان منِّي ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ لا أبكى اللهُ عينَك ، قال : أما إنه لو كان لِأمرِ الدنيا . . ما رأيتَ هٰذا ، ثم رمىٰ بالقرطاس ؛ فإذا فيه شعرُ أبي العتاهية** : [من الكامل]

هل أنتَ معتبِرٌ بمَن خربَتْ ... منهُ غَداةَ قضىٰ دَساكِرُهُ
وبمَن أذلَّ الدهرُ مصرعَهُ ... فتبرّأتْ منهُ عساكِرُهُ

---

(١) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ١٤٠) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (٦٤) من كلام ذي النون رحمه الله تعالىٰ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ١١٩) من كلام الخليل بن أحمد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده في « العقد الفريد » (٣/ ١٥٢) ممّا كتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالىٰ ، و« التذكرة الحمدونية » (١/ ٣٦٠) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤١٠) .

وبمَــن خلَـت منـه أَسِـرَّتُــهُ وبمَــن خَلَــتْ عنــهُ منـابِـرُهُ
أيــنَ الملـوكُ وأيــنَ عِــزُّهُــمُ صـاروا مَصيـراً أنـتَ صـائِـرُهُ
يــا مُــؤثِـرَ الــدنيـا للــذَّتِــهِ والمستعــدَّ لمَــن يُفــاخِــرُهُ
نَـلْ ما بـدا لـكَ أن تنـال مـن الـد نيـــا فـــإنَّ المـــوتَ آخِـــرُهُ

فقال الرشيد : والله ؛ لكأنِّي أُطالَب بهٰذا الشعر دون الناس ، فلم يلبث بعده إلا يسيراً حتىٰ مات)[١] .

ثم الحال الثالثة من أحوال رياضتك لها : أن تكشف لنفسك حالَ أجلك ، وتصرفها عن غرور أملك ؛ حتىٰ لا يطيلَ لك الأمل أجلاً قصيراً ، ولا ينسيَك موتاً ولا نشوراً .

روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خُطَبه : « أيُّها الناسُ ؛ إنَّ الأيّامَ تُطوَىٰ ، والأعمارَ تفنىٰ ، والأبدانَ في الثرىٰ تبلىٰ ، وإنَّ الليلَ والنهارَ يَتراكضانِ تراكضَ البريدِ ؛ يُقرِّبانِ كلَّ بعيدٍ ، ويُخلِقانِ كلَّ جديدٍ ، وفي ذلك ـ عبادَ اللهِ ـ ما ألهىٰ عن الشَّهواتِ ، ورغَّبَ في الباقياتِ الصالحاتِ »[٢] .

وقال مسعر : (كم من مستقبلٍ يوماً وليس بمستكمله ، ومنتظرٍ غداً وليس من أجَله ؟! ولو رأيتم الأجلَ ومسيره . . لأبغضتم الأملَ وغروره)[٣] .

وقال رجلٌ من الأنصار للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : مَن أكيَسُ الناسِ ؟ قال : « أكثرُهم ذِكْراً للموت ، وأشدُّهم استعداداً له ، أولئكَ الأكياسُ ؛ ذهبوا بشرَفِ الدنيا ، وكرامة الآخرة »[٤] .

---

(١) أورده في « مروج الذهب » (٤/٢٣١) ، والأبيات في « ديوان أبي العتاهية » (ص ١٧٩) ، والدَّسْكَرة : بناء يشبه القصر حوله بيوت للخدم والحشم .

(٢) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٧) ، و« سراج الملوك » (١/٩٥) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٠٨) عن مسعر بن كدام ، عن معن ، عن عون بن عبد الله رحمهم الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٨٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (كما تنامون . . كذلك تموتون ، وكما تستيقظون . . كذلك تُبعَثون)[١] .

وقال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : (أيُّها الناسُ ؛ اتقوا الله الذي إنْ قلتم . . سمع ، وإنْ أضمرتم . . علم ، وبادروا الموتَ الذي إنْ هربتم . . أدرككم ، وإنْ أقمتم . . أخذكم)[٢] .

وقال العلاء بن المسيِّب : (ليس قبل الموت شيءٌ إلا والموتُ أشدُّ منه ، وليس بعد الموت شيءٌ إلا والموتُ أيسرُ منه)[٣] .

وقال بعض الحكماء : (إن للباقي بالماضي معتبَراً ، وللآخِر بالأول مزدَجراً ، والسعيدُ لا يركنُ إلى الخدع ، ولا يغترُّ بالطمع)[٤] .

وقال بعض الصلحاء : (إنَّ بقاءك إلىٰ فناء ، وفناءك إلىٰ بقاء ، فخُذْ من فنائك الذي لا يبقىٰ لبقائك الذي لا يفنىٰ)[٥] .

وقال بعض العلماء : (أيُّ عيش يطيب ، وليس للموت طبيبٌ ؟)[٦] .

وقال بعض البلغاء : (كلُّ امرىءٍ يجري من عمره إلىٰ غايةٍ تنتهي إليها مدّةُ أجَله ، وتنطوي عليها صحيفة عمله ، فخذْ من نفسك لنفسك ، وقسْ يومك بأمسك ، وكفَّ عن سيئاتك ، وزدْ في حسناتك ، قبل أن تستوفيَ مدّة الأجل ، وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل)[٧] .

وقيل في منثور الحكم : (مَن لم يتعرَّض للنوائب . . تعرَّضت له)[٨] .

---

(١) أورد ابن الأثير نحوه في « الكامل » (١/ ٦٥٩) عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إذ أُمر بإظهار دعوته .

(٢) أورده المبرّد في « الكامل » (٢/ ٤٩٣) ، و« البصائر والذخائر » (١/ ٦٥) .

(٣) أورده في « الكشكول » (٢/ ٢٧٨) دون نسبة .

(٤) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٧) .

(٥) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/ ٣١٧) ممّا كتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالىٰ .

(٦) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٤٣) .

(٧) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٨) .

(٨) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٢٩) ، و« الأوائل » (ص ٢٦٦) من كلام ابن المعتز .

وقال أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

مـــا للمقــابـــرِ لا تُجيـ ـــبُ إذا دَعــاهُـــنَّ الكئيـــبُ
حُفَـــرٌ مُشقَّقـــــةٌ علَيْـ ـهِـــنَّ الجَنــادِلُ والكَثيـــبُ
فيهِـــــنَّ وِلْــــدانٌ وأطْـ ـفـــالٌ وشُبّـــانٌ وشِيـــبُ
كـــمْ مِـــن حَبيـــبٍ لـــم تكـــنْ نفســـي بفُـــرْقتِـــهِ تَطيـــبُ
غـــادرتُـــهُ فـــي بعضهـــنَّ مُجنـــدَلاً وهُـــوَ الحبيـــبُ
وسلَـــوتُ عنـــهُ كـــأنَّمـــا عَهـــدي بـــرؤيتـــه قـــريـــبُ

وعظ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال له : « **أقلِلْ منَ الدنيا. . تعِشْ حُرّاً ، وأقلِلْ منَ الذَّنْبِ. . يهُنْ عليكَ الموتُ ، وانظُرْ حيثُ تضعُ ولَدَكَ ؛ فإنَّ العِرْقَ دَسّاسٌ** »[2] .

وقال الرشيد لابن السمّاك : (عظني وأوجز ، فقال : **اعلم أنَّك أوّلُ خليفةٍ يموت**)[3] .

وعزَّىٰ أعرابيٌّ رجلاً في ابنٍ له صغير ، فقال له : (**الحمد لله الذي نجّاه ممّا هٰهنا من الكدَر** ، وخلَّصه ممّا بين يدَيه من الخطَر)[4] .

وقال بعض السلف : (**مَن عمل للآخرة. . أحرزها والدنيا ، ومَن آثر الدنيا. . حُرِمها والآخرةَ**) .

وقال بعض الصلحاء : (**استغنم تنفُّسَ الأجل** ، وإمكانَ العمل ، **واقطع ذكر المعاذير والعلل** ؛ فإنَّك في أجلٍ محدود ، ونَفَسٍ معدود ، وعُمرٍ غير ممدود)[5] .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٥) .

(٢) رواه الشهاب القضاعي في « مسنده » (٦٣٨) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٩٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ؛ وفيه وفي (هـ) : (أقلَّ من الدَّين. . .) ، ومعنى (العرق دسّاس) : أن الولد يشبه أصل الزوجة في الأخلاق والأعمال ؛ فإنها تسري إليه في خفاءٍ ولطفٍ .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٤/ ٢٨٦) .

(٤) أورده في « البصائر والذخائر » (٤/ ١٧٠) .

(٥) أورده في « ربيع الأبرار » (١/ ٩٣) ، و« العاقبة في ذكر الموت » (١/ ٨٣) .

وقال بعض الحكماء : (**الطبيب معذور إذا لم يدفع المحذور**) .

وقال بعض البلغاء : (**اعمل عملَ المرتحل** ؛ فإنَّ حاديَ الموت يحدُوك ليومٍ ليس يعدُوك)[1] .

وروي عن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] : [من مجزوء الرجز]

غَــرَّ جَهُــولاً أمَلُــه ... يمــوتُ مَــن جــا أجَلُــهْ
ومَــن دنــا مــن حَتْفِــهِ ... لــم تُغــنِ عنــه حِيَلُــهْ
ومــا بَقــاءُ آخِــرٍ ... قــد غــابَ عنــهُ أوَّلُــهْ
والمــرءُ لا يصحَبُــهُ ... فــي القبــرِ إلاّ عمَلُــهْ

وقال أبو العتاهية[3] : [من البسيط]

لا تأمنِ الموتَ في لحظٍ ولا نفَس ... وإنْ تمنَّعْتَ بالحُجّابِ والحرَسِ
ما بالُ دينِكَ ترضىٰ أنْ تدنِّسَهُ ... وثوبُكَ الدهرَ مغسولٌ من الدَّنَسِ
واعلم بأنَّ سهامَ الموتِ قاصدةٌ ... لكــلِّ مُــدَّرِعٍ منّــا ومُتَّــرِسِ
ترجو النجاةَ ولم تسلُكْ مسالِكَها ... إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

* * *

فإذا رُضتَ نفسك من هـٰذه الحال بما وصفتُ . . **اعتضتَ منها ثلاث خلال** :

ـ **إحداهنَّ** : أن تُكفَىٰ تسويفَ أملٍ يُرديك ، وتسويلَ محالٍ يؤذيك ؛ **فإنَّ تسويف الأمل غرّار** ، وتسويل المحال ضرّار .

ـ **والثانية** : أن تستيقظ لعمل آخرتك ، وتغتنم بقيّة أجلك بخير عملك ؛ **فإنَّ مَن قصّر أملَه** ، **واستقبل أجلَه** . . حسّن عمله .

---

(١) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٣) ، و« الكشكول » (٢/٢٧٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢١٣) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٩٤) ، والبيت الثاني زيادة من (ج) .

- والثالثة : أن يهون عليك نزول ما ليس عنه محيص ، ويسهل عليك حلول ما ليس إلىٰ دفعه سبيل ؛ فإنَّ مَن تحقَّق أمراً . . توطَّأ لحلوله ، وهان عليه عند نزوله .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذرّ : « نبِّهْ بالتفكر قلبَكَ ، وجافِ عن النوم جنبَكَ ، واتقِ اللهَ ربَّكَ »[1] .

وقال عمر بن الخطاب لأبي ذرّ رضي الله عنهما : (عظني) فقال : (ارضَ بالقُوت ، وخَفِ الفَوت ، واجعل صومَكَ الدنيا ، وفطرَكَ الموت) .

وقال عمر بن عبد العزيز : (ما رأيتُ يقيناً لا شكَّ فيه أشبهَ بشكٍّ لا يقين فيه من يقينٍ نحن فيه ؛ فلَئن كنّا مقرِّين . . إنَّا لَحمقىٰ ، ولَئن كنَّا جاحدين . . إنَّا لَهلكىٰ)[2] .

وقال الحسن البصري : (نهارُك ضيفُك ، فأحسنْ إليه ؛ فإنَّك إن أحسنت إليه . . ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه . . ارتحل بذمّك ، وكذا ليلُك)[3] .

وقال الجاحظ في كتاب « البيان » : (وجد مكتوباً في حجر : يا بنَ آدمَ ؛ إنَّك لو رأيت يسير ما بقي من أجَلك . . لزهدت في طويل ما ترجو من أمَلك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ، ولقصرت في حرصك وحيَلك ، وإنَّما يلقاك غداً ندمُك لو قد زلَّت بك قدمُك ، وأسلمك أهلُك وحشمُك ، وتبرّأ منك القريب ، وانصرف عنك الحبيب)[4] .

ولمَّا حضر بشرَ بن منصور الموتُ . . فرح ، فقيل له : (أتفرح بالموت ؟! فقال : أتجعلون قدومي علىٰ خالقٍ أرجوه كمُقامي مع مخلوقٍ أخافه ؟!)[5] .

وقيل لأبي بكر الصدّيق رضي الله تعالىٰ عنه في مرضه الذي مات فيه : لو

---

(١) أورده في « بهجة المجالس » (١/ ١١٥) من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٢٣٤) ، وأورده في « محاضرات الأدباء » (٤/ ٢٩٢) .
(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ١٦٤) ، وروىٰ نحوه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢٨٦) .
(٤) البيان والتبيين (٣/ ١٦٦) .
(٥) أورده ابن المعتز في « البديع » (ص ٣٧) ، و« محاضرات الأدباء » (٤/ ٣١٣) .

أرسلت إلى الطبيب ؟ فقال : (قد رآني) قالوا : فما قال لك ؟ قال : (قال : إنِّي فعَّالٌ لما أريد)[1] .

وقيل للربيع بن خُثَيم وقد اعتلّ : (ندعو لك الطبيبَ ؟ فقال : قد أردت ذلك ، فذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرَّسِّ وقروناً بين ذلك كثيراً ، وعلمتُ أنه كان فيهم الداء والمُداوي ، فهلكوا جميعاً)[2] .

وسئل أنوشروان : (متىٰ يكون عيشُ الدنيا ألذَّ ؟ فقال : إذا كان الذي ينبغي أن يعمله في حياته معمولاً) .

وقال بعض الحكماء : (مَن ذكر المنيّة . . نسي الأمنيَّة)[3] .

وقال بعض الأدباء : (عن الموت تسلَّ ، فهو كريشةٍ تُسَلّ) .

وقال بعض البلغاء : (الأمل حجاب الأجل) .

وأنشد بعض أهل الأدب ما ذكر أنه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[4] : [من الوافر]

ولــو كنّــا إذا متنــا تُــرِكْنــا ... لَكــان المــوتُ راحــةَ كــلِّ حــيِّ
ولٰكنّــا إذا متنــا بُعِثْنــا ... ونُســألُ بعــدَ ذا عــن كــلِّ شــيِّ

وقال بعض الشعراء[5] : [من الطويل]

ألا إنَّمــا الــدنيــا مَقيــلٌ لــراكــبٍ ... قضىٰ وطَراً من منزلٍ ثمَّ هَجَّرا
فــراحَ ولا يــدري عــلامَ قــدومُــهُ ... ألا كــلُّ مــا قــدَّمــتَ تلقىٰ مــوفَّــرا

روىٰ سعيد بن مسعود أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال : يا رسولَ الله ؛ أوصني ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « اكسبْ طيّباً ، واعمل صالحاً ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٥٨٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٨١) .
(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠٠) في زيادات نعيم بن حماد ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٣٨٩٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥١٤) .
(٣) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) .
(٤) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٧٩) ، وفي « ديوان أبي العتاهية » (ص ٢٨٧ـ دار صادر) .
(٥) البيتان هتف بهما هاتف بركبٍ يسيرون ؛ كما رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٥٤) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٩١) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ .

واسألِ اللهَ تعالىٰ رزقَ يوم بيومٍ ، واعدد نفسَكَ منَ الموتىٰ »[1] .

وكتب الربيع بن خُثيم إلىٰ أخٍ له : (قدِّم جَهازك ، وافرغ منْ زادك ، وكن وصيَّ نفسك ، والسلام)[2] .

وقال بعض السلف : (أصاب الدنيا مَنْ حذرها ، وأصابتِ الدنيا مَنْ أمنها)[3] .

ومرَّ محمد بن واسع بقوم ، فقيل له : (هٰؤلاء زهَّاد ، فقال : وما قدرُ الدنيا حتىٰ يُحمَد مَن زهد فيها ؟!)[4] .

وقال بعض الحكماء : (السعيد : مَن اعتبر بأمسه ، واستظهر لنفسه ، والشقيُّ : مَن جمع لغيره ، وبخل علىٰ نفسه)[5] .

وقال بعض البلغاء : (لا تبِتْ عن غير وصيّة وإنْ كنت من جسمك في صحّة ، ومن عمرك في فُسحة ؛ فإنَّ الدهر خائن ، وكلَّ ما هو كائن.. كائن)[6] .

وقال بعض الشعراء[7] : [من البسيط]

مَن كان يعلمُ أنَّ الموتَ مُدرِكُهُ والقبرَ مَسكنُهُ والبعثَ مَخرجُهُ
وأنَّــه بيــنَ جنّــاتٍ ستُبهِجُـهُ يـومَ القيـامـةِ أو نـارٍ ستُنضِجُـهُ
فكلُّ شيءٍ سوى التقوىٰ به سمِجٌ ومـا أقـامَ عليـه منـه أسمَجُـهُ
ترى الذي اتخذَ الدنيا له وطناً لم يدرِ أنَّ المنايا سوفَ تُزعِجُهُ

وروىٰ جعفر بن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه : « أيُّها الناسُ ؛ إنَّ لكم نهايةً

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٦٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢١٢) بنحوه .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٩٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ١٠٨) .
(٣) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ١٠٦) من قول عبد الحميد ، و« البصائر والذخائر » (٤/ ٦٢) .
(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١/٣٠١١) ، و« تاريخ دمشق » (٥٦/ ١٥٣) .
(٥) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ١٠٧) .
(٦) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٨) .
(٧) أورد الأبيات في « المستطرف » (٣/ ٣٥٨) ، و« سراج الملوك » (١/ ٦١) .

فانتهُوا إلىٰ نهايتكم ، **وإنَّ لكم معالمَ فانتهُوا إلىٰ معالمكم ، وإنَّ المؤمن بين مَخافتَين** ؛ أجَلٍ قد مضىٰ لا يدري ما الله تعالىٰ صانعٌ فيه ، وأجَلٍ قد بقي لا يدري ما الله تعالىٰ قاضٍ فيه ، **فليتزوَّدِ العبدُ من نفسه لنفسه** ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الحياة قبلَ الموت ؛ **فإنَّ الدنيا خُلِقت لكم ، وإنّكم خُلِقتم للآخرة** ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده ؛ **ما بعدَ الموت من مُستعتَبٍ ، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنةَ أو النارَ** »[١] .

وقال الحسن البصريّ : (**أمسِ أجَلٌ ، واليومَ عمَلٌ ، وغداً أمَلٌ**)[٢] .

فأخذ أبو العتاهية هـٰذا المعنىٰ فنظمه شعراً ، فقال[٣] : [من الخفيف]

لیسَ فیما مضَىٰ ولا في الذي لم ... یــأتِ مــن لــذّةٍ لمُستحْلِيهـا
إنَّمـا أنـتَ طُـولَ عُمْـرِكَ مـا عُمِّـ ... ـرتَ في الساعة التي أنتَ فيها
قنِّـعِ النفـسَ بـالكَفـافِ وإلا ... طلَبـتْ منـكَ فـوقَ مـا يكفيهـا

وقيل لزاهدٍ : (ما بالك تمشي علىٰ عصاً ولست بكبيرٍ ولا مريض ؟! قال : **لأنّي أعلم أنّي مسافر** ، وأنها دارُ قُلْعة ، **وأن العصا من آلة السفر**)[٤] .

وقال بعضهم[٥] : [من الطويل]

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حَمْلَها ... علـيَّ ولا أنِّـي تحنَّيـتُ مـن كِبَـرْ
ولـٰكنَّـي ألـزَمـتُ نفسـيَ حَمْلَهـا ... لأُعْلِمَهـا أنَّ المقيـمَ علـىٰ سَفَـرْ

وقال بعض المتصوِّفة : (**الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة**)[٦] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٩٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٩٧) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « كلام الليالي والأيام لابن آدم » (١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٣/١٢) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤١٦) .
(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢٨٤) ، وأورده في « ربيع الأبرار » (١٠٦/٢) ، ودار قُلْعة ؛ أي : اقتلاع وتحوُّل .
(٥) أوردهما في « عيون الأخبار » (٣٢٣/٢) .
(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٣) ، و« زهر الآداب » (٨١٠/٢) .

وقال ذو القرنين : (رتَعنا في الدنيا جاهلين ، وعِشنا فيها غافلين ، وأُخرِجنا منها كارهين)(١) .

وقال عبد الحميد : (المرءُ أسير عُمرٍ يسير) .

وقيل في بعض المواعظ : (عجبٌ لمَن خاف العقاب كيف لا يكفُّ ، وعجبٌ لمَن يرجو الثواب كيف لا يعمل ؟!)(٢) .

وقال بعض الحكماء : (المسيءُ ميتٌ وإن كان في دار الحياة ، والمحسنُ حيٌّ وإن كان في دار الأموات ، وكلٌّ بالأثر يومَه أو غدَه)(٣) .

وقال بعض السلف : (الله المستعان علىٰ ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف)(٤) .

وقال آخر : (إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما)(٥) .

وقال آخر : (اعملوا لآخرتكم من هـٰذه الأيام التي تسير كأنَّها تطير)(٦) .

وقال آخر : (الموتُ قُصاراك ، فخُذْ من دنياك لأُخراك)(٧) .

وقال آخر : (عبادَ الله ؛ الحذرَ الحذرَ ، فوالله ؛ لقد ستر حتىٰ كأنه قد غفر ، ولقد أمهل حتىٰ كأنه قد أهمل)(٨) .

---

(١) أورده في « الكشكول » (٢/ ١٤٦) لميلاطوس .

(٢) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٤٢) من قول سيدنا علي رضي الله عنه ، و« العقد الفريد » (٣/ ١٧٨) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (١٤١) ، وأورده في « البصائر والذخائر » (٧/ ١١٤) .

(٤) أورده في « البيان والتبيين » (١/ ٢٨٤) ، و« التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٢) من قول عمر بن ذرّ ، وفي « العقد الفريد » (٣/ ١٨٥) من قول ابن السمّاك .

(٥) أورده ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٤٧) ، ونسبه في « الإعجاز والايجاز » (ص ٧٧) لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده في « الكشكول » (٢/ ٨٩) .

(٧) قُصاراك : مبلغ جهدك وغايتك .

(٨) أورده في « محاضرات الأدباء » (٤/ ١١٣) من قول ابن السمّاك ، وفي « شرح نهج البلاغة » (١٨/ ١٤١) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

وقال آخر : (**الأيام صحائف أعمالكم فخلِّدوها أجملَ أفعالكم**)[1] .

وقيل في منثور الحكم : (**اقبل نُصحَ الشَّيب وإن عجل**)[2] .

وقيل : (**ما طلعت شمسٌ إلا وعظت بأمسٍ**) .

وقال محمد بن بشير[3] : [من الطويل]

مضىٰ أمسُكَ الأدنىٰ شهيداً معدَّلاً ... ويومُكَ هٰذا بالفِعالِ شهيدُ
فإنْ تكُ بالأمسِ اقترفتَ إساءةً ... فثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حميدُ
ولا تُرْجِ فعلَ الخيرِ منكَ إلىٰ غدٍ ... لعلَّ غداً يأتي وأنتَ فقيدُ
إذا ما المنايا أخطأتْكَ وصادفَتْ ... حميمَكَ فاعلمْ أنَّها ستعودُ
وإنَّ امرأً ينجو من النار بعدما ... تزوَّدَ من أعمالها لسعيدُ

روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ما رأيتُ مثلَ الجنَّةِ نامَ طالبُها ، وما رأيتُ مثلَ النارِ نامَ هاربُها** »[4] .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : (**إنَّ أولياءَ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . . الذين نظرُوا إلىٰ باطن الدنيا حين نظر الناسُ إلىٰ ظاهرها ، وإلىٰ آجل الدنيا حين نظر الناسُ إلىٰ عاجلها ، فأماتُوا منها ما خشُوا أن يُميتَ قلوبَهم ، وتركُوا منها ما علمُوا أنَّه سيتركُهم**)[5] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه : (**الناس طالبان يطلبان ؛ فطالبٌ يطلب الدنيا ، فارفضوها في نحره ؛ فإنَّه ربَّما أدرك الذي يطلب منها فهلك بما أصاب منها ، وطالبٌ يطلب الآخرة ، فإذا رأيتم طالب الآخرة . . فنافِسُوه**)[6] .

---

(١) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٤٦)، و« زهر الآداب » (١/ ٢١٢) من قول أفريدون ملك العجم .
(٢) أورده في « نثر الدر » (٣/ ١٥٣) من كلام ابن المعتز .
(٣) أورد الأبيات المرزباني في « معجم الشعراء » (ص ٤١٤) لمحمد بن يسير الرياشيّ ، وهي ممَّا نُسب لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ٢٤٧) وزاد في (ج) البيتين الأخيرين ، وهما ليزيد بن الصقيل العُقَيليّ ، أوردهما المبرّد في « الكامل » (١/ ١٣٥) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/ ٢٢٣) .
(٤) رواه الترمذي (٢٦٠١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٣) .
(٥) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٣٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ١٠) .
(٦) أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ١٣٨) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/ ١٢٧) .

ودخل أبو الدرداء الشام ، فقال : (يا أهلَ الشام ؛ اسمعوا قولَ أخٍ ناصحٍ) ، فاجتمعوا عليه ، فقال : (ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون ، وتُؤمِّلون ما لا تُدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ؟! إنَّ الذين كانوا قبلكم بنَوا مَشيداً ، وأمَّلُوا بعيداً ، وجمعوا كثيراً ، فأصبح أملُهم غروراً ، وجمعُهم بُوراً ، ومساكنُهم قبوراً)[1] .

وقال أبو حازم : (إنَّ الدنيا غرَّت أقواماً ، فعملوا فيها بغير الحقِّ ، ففاجأهم الموتُ ، فخلَّفوا مالَهم لمَن لا يحمدهم ، وصاروا إلىٰ مَن لا يعذرهم ، وقد خُلِّفنا بعدَهم ، فينبغي لنا أن ننظر الذي كرهناه منهم فنجتنبه ، والذي غبطناهم به فنستعمله)[2] .

ومرَّ بعض الزهَّاد بباب ملك ، فقال : (بابٌ جديد ، وموتٌ عتيد ، ونزعٌ شديد ، وسفرٌ بعيد)[3] .

ومرَّ بعض الزهَّاد برجلٍ قد اجتمع عليه الناس ، فقالوا : (هـٰذا مسكين سرق منه رجلٌ جبّةً !!) ، ومرَّ به آخر فأعطاه جبّةً ، فقال : (الحمد لله ، ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾)[4] .

وقال بعض الحكماء : (ما أنصف مِن نفسه مَنْ أيقن بالحشر والحساب ، وزهد في الأجر والثواب) .

وقال آخر : (بطول الأمل تقسو القلوب ، وبإخلاص النيّة تقلُّ الذنوب) .

وقال آخر : (إياكَ والمُنىٰ ؛ فإنَّها من بضائع النَّوْكىٰ ، وتثبِّط عن الآخرة والأولىٰ)[5] .

---

(١) رواه أبو داوود في « الزهد » (٢٤٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٢٣) .
(٢) أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ١٢٧) ، و« البصائر والذخائر » (٨/ ٥٨) .
(٣) أورده في « البيان والتبيين » (١/ ٢٨٦) .
(٤) أي : إن بعضكم يأخذ دناءة ، وبعضكم يعطي كرامة ، فسعيكم مختلف ، وأجركم كذلك .
(٥) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٣٧) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٦/ ٩٧) من كلام سيدنا علي رضي الله عنه .

وقال آخر : (**قصِّر أملَك** ؛ فالعمر قصير ، **وأحسِن سيرتَك** ؛ فالبرُّ يسير) .

وقال عبد الله بن المعتزّ[١] : [من الطويل]

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ وأيّامُنا تُطوىٰ وهُنَّ مَراحِلُ
ولم نرَ مثلَ الموتِ حقّاً كأنَّهُ إذا ما تخطَّتهُ الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمَنِ الصِّبا فكيفَ به والشَّيبُ في الرأس شاملُ
ترحَّلْ من الدنيا بزادٍ من التُّقىٰ فعمرُكَ أيّامٌ تُعدُّ قلائلُ

وكان عبد الملك بن مروان يتمثَّل بهـٰذين البيتين كثيراً : [من الكامل]

فاعمَلْ علىٰ مَهَلٍ فإنَّكَ ميِّتٌ واكدَحْ لنفسِكَ أيُّها الإنسانْ
فكأنَّ ما قد كان لم يكُ إذْ مضىٰ وكأنَّ ما هو كائنٌ قد كانْ[٢]

ونظر سليمان بن عبد الملك يوماً في المرآة فقال : **أنا الملك الشابُّ** ، وكان علىٰ رأسه جارية له ، فقال لها : **أوَما تقولين أنت ؟**

فقالت له الجارية : [من الخفيف]

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقىٰ غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
ليسَ فيما بدا لنا منكَ عيبٌ كان في الناسِ غيرَ أنَّكَ فانِ[٣]

روي عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن أبان ، عن أنسٍ قال : خطبَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىٰ ناقته الجَدْعاء ، فقال : « **أيُّها الناسُ ؛ كأنَّ الموتَ فيها علىٰ غيرِنا كُتِبَ ، وكأنَّ الحقَّ فيها علىٰ غيرنا وجَبَ ، وكأنَّ الذين نشيِّعُ من الأموات سَفْرٌ عمَّا قليلٍ إلينا راجعون ، نبوِّئُهم أجداثَهم ، ونأكلُ تُراثَهم ، كأنّا مخلَّدون بعدَهم ، قد نسينا كلَّ واعظةٍ ، وأَمِنَّا كلَّ جائحةٍ ، طوبىٰ لمَن شغَلَه عيبُه عن عيبِ غيرِه ، وأنفق من مالٍ كسبَهُ من غيرِ معصيةٍ ، ورحم أهلَ**

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢/ ٤٠٤) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الاعتبار » (٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ١٣١) ، والجريري في « الجليس الصالح » (٤/ ١٤٠) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد » (٦١٥) ، والبيتان لموسى بن يسار الملقب بشهوات ، قالهما في حمزة بن عبد الله بن الزبير . انظر « الأغاني » (٣/ ١٢٠٧) ، و« الشعر والشعراء » (ص ٥٧٨) .

الذُّلِّ والمَسْكَنةِ ، وخالطَ أهلَ الفقه والحكمةِ ، طوبىٰ لمَن أدَّبَ نفسَه ، وحسُنَت خليقتُه ، وصلُحَت سريرتُه ، طوبىٰ لمَن عمل بعلمه ، وأنفق الفضلَ من مالهِ ، وأمسك الفضلَ من قوله ، ووسعته السنّة ، ولم يَعدُها إلىٰ بدعةٍ »[1] .

وروي عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « زُورُوا القبورَ . . تذكروا بها الآخرةَ ، وغسِّلوا الموتىٰ ؛ فإنها معالجةُ الأجساد الخاوية ، وموعظةٌ بليغةٌ »[2] .

وحفر الربيع بن خُثيم في داره قبراً ، فكان إذا وجد من قلبه قسوةً . . جاء فاضطجع في القبر ، فمكث فيه ما شاء الله ، ثم يقول : ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ ، ثم يردُّ علىٰ نفسه فيقول : (قد أرجعتُكِ فجدِّي) ، فمكث علىٰ ذلك ما شاء الله[3] .

وقال أبو محرز الطُّفاويّ : (كفتك القبورُ مواعظَ الأمم السالفة)[4] .

وقيل لبعض الزهّاد : (ما أبلغُ العظات ؟ فقال : النظر إلىٰ مَحلّة الأموات)[5] .

فأخذه أبو العتاهية فقال[6] : [من مجزوء الكامل]

وعظَتْكَ أجداثٌ صُمُتْ ... ونعَتْكَ أزمِنةٌ خُفُتْ
وتكلَّمَتْ عن أوجُهٍ ... تبلىٰ وعن صُوَرٍ سُبُتْ
وأرَتْكَ قبرَكَ في الحيا ... ةِ وأنتَ حيٌّ لم تمُتْ

---

(١) رواه البزار في « مسنده » (٦٢٣٧ ، ٦٢٣٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٧٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٤٠) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٣٧٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ١٨٨) عن أبي ذرّ رضي الله عنه .

(٣) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١١/ ٣١١) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٨٦٨) بنحوه .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٦٦) ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٦) من كلام قُسّ بن ساعدة الإيادي .

(٦) الأبيات في « ديوانه » (ص ٧٨) .

يـــا شــامِتـــاً بمَنِيَّتــــي إنَّ المَنيَّـــةَ لـــم تفُـــتْ
ولـــربَّمـــا انقلَـــبَ الشَّمـــا تُ فحَـــلَّ بـــالقـــومِ الشُّمُـــتْ

ووُجد مكتوباً علىٰ قبرٍ : (**قهرْنا مَن قهرْنا ، فصرْنا للناظرين عِبرة**)[1] .

وعلىٰ آخر : (**مَن أمَّل البقاءَ وقد رأىٰ مَصارعَنا . . فهو مغرورٌ**) .

وقيل في منثور الحكم : (**ما أكثرَ مَن يعرف الحقَّ ولا يطيعه**) .

وقال بعض الحكماء : (**مَن لم يمُتْ . . لم يفُتْ**)[2] .

وقال بعض الصلحاء : (**لنا مِن كلِّ ميت عظةٌ بحاله ، وعبرةٌ بمآله**)[3] .

وقال بعض العلماء : (**مَن لم يتَّعظ بموت ولد . . لم يتَّعظ بقول أحد**) .

وقال بعض البلغاء : (**ما انقضَت ساعةٌ من أمسِك إلا ببَضْعة من نفسِك**)[4] .

فأخذه أبو العتاهية فقال[5] : [من المنسرح]

إنَّ مـعَ اليـومِ ـ فـأعلَمَـنَّ ـ غـداً فـانظُـرْ بمـا ينقضـي مَجـيءُ غَـدِهْ
مـا ارتـدَّ طـرفُ امـرئٍ بلـذّتِـهِ إلا وشـيءٌ يمـوتُ مِـن جسَـدِهْ

ولمّا مات الإسكندر . . قال أرسطاطاليس : (**لقد حرَّكتنا بسكونك**) .

وقال بعض الحكماء : (**كان الملك أمسِ أنطقَ منه اليومَ ، وهو اليومَ أوعظُ منه أمسِ**)[6] .

فأخذ هـٰذا المعنىٰ أبو العتاهية فقال[7] : [من الوافر]

كفـىٰ حـزَنـاً بـدفنِـكَ ثَـمَّ أنِّـي نفضْـتُ تُـرابَ قبـرِكَ عـن يـدَيَّـا
وكـانـتْ فـي حيـاتِـكَ لـي عِظـاتٌ وأنـتَ اليـومَ أوعـظُ منـكَ حَيَّـا

---

(١) أورده في « سراج الملوك » (١/ ٥٣) .
(٢) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٣٣٧) من كلام أكثم بن صيفيّ .
(٣) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٤٣) .
(٤) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) .
(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ١٣٣) .
(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٦) ، و« زهر الآداب » (٢/ ٦٧٣ـ ٦٧٤) .
(٧) البيتان في « ديوانه » (ص ٦٧٩) .

وقال بعض الحكماء : (**لو كان للخطايا ريحٌ . . لافتضح الناسُ من كل عملٍ قبيح ، ولم يتجالسوا**) .

فأخذ هـٰذا المعنىٰ أبو العتاهية فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

أحســـــنَ اللهُ بنـــا أنَّ ... الخطـــايـــا لا تفُـــوحُ
فـــإذا المستـــورُ مِنَّـــا ... بيـــنَ ثَـــوْبَيْـــهِ فُضُـــوحُ

وهـٰذا كلُّه مأخوذٌ من قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « **لو تكاشَفتُم . . ما تدافَنتُم** »[2] .

وكتب رجلٌ إلىٰ أبي العتاهية : [من مجزوء الرمل]

يـــا أبـــا إسحـــاقَ إنِّـــي ... واثـــقٌ منـــكَ بـــوُدِّكْ
فـــأعِنِّـــي بـــأبـــي أنْـــ ... ـــتَ علـــىٰ غَيِّـــي بـــرُشْـــدِكْ

فأجابه أبو العتاهية[3] : [من مجزوء الرمل]

أطِـــعِ اللهَ بجَهْـــدِكْ ... راغبـــاً أو دونَ جَهْـــدِكْ
أَعـــطِ مـــولاكَ الـــذي تَطْـــ ... ـــلُـــبُ مِـــن طـــاعـــةِ عَبْـــدِكْ

وقال بعض الحكماء : (**مَن سرَّه بنُوه . . ساءته نفسُه**)[4] .

فأخذ هـٰذا المعنىٰ أبو العتاهية فقال[5] : [من الخفيف]

ابـــنُ ذي الابـــنِ كلَّمـــا زادَ منـــهُ ... مَشْـــرَعٌ زادَ فـــي فَنـــاءِ أبيـــهِ
مـــا بقـــاءُ الأبِ المُلِـــحِّ عليـــهِ ... بـــدَبيـــبِ البِلَـــىٰ شبـــابُ بَنِيـــهِ

وفي معناه : ما حُكي عن زرِّ بن حُبَيش أنه عاش مئة وعشرين سنة ، فلمَّا

---

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٩٧) .
(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٦١٦) ، و« عيون الأخبار » (٢/ ٣٤٤) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .
(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ٨٨ ـ دار صادر) .
(٤) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ١٤٦) ، و« عيون الأخبار » (٢/ ٣٢٠) من قول ضرار بن عمرو الضبّيّ .
(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٧٧ ـ دار صادر) .

حضرته الوفاة أنشأ يقول : [من مشطور الرجز]

إذا الــــرجـــــالُ وَلـــــدَتْ أولادُهـــــا
وارتعشَـــتْ مـــن كِبَـــرٍ أجســـادُهـــا
وجعلَـــتْ أسقـــامُهـــا تعتـــادُهـــا
تلـــكَ زُروعٌ قـــد دَنـــا حَصـــادُهـــا[1]

وكتب رجلٌ إلىٰ صالح بن عبد القدّوس[2] : [من البسيط]

المـوتُ بـابٌ وكـلُّ النـاسِ داخلُـهُ فليتَ شعرِيَ بعدَ البابِ ما الدارُ

فأجابه صالح[3] : [من البسيط]

الـدارُ جنّـةُ عَـدْنٍ إنْ عمِلْـتَ بمـا يُرضي الإلٰهَ وإنْ فرَّطتَ فالنارُ
همـا محـلاّنِ مـا للنـاس غيـرُهمـا فـانظُـرْ لنفسِـكَ مـاذا أنـتَ مُختـارُ

---

(١) أورده في « الصاهل والشاحج » (ص ٥٦٦) .
(٢) أورده في « ثمار القلوب » (٢/٩٧٨) ، وهٰذا البيت مع الأول من الجواب في « ديوان أبي العتاهية » (ص ١٤١) .
(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ١١٩) .

